استقبال العيد

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه
وزير الشئون الاجتماعية

الخطبة التى ألقاها معاليه من محطة الإذاعة يوم السبت ١٨ أكتوبر

سيداتى ، سادتى :

أهنئكم بالعيد وكل عام وأنتم بخير ، أهنئكم بالعيد وأسأل الله أن يعيده على الأمة المصرية والبلاد الإسلامية فى أنحاء العالم بخير ورفعة وسلام .

أيها السادة .

لقد أقبل هذا العيد السعيد وسأسميه سعيدا رغم ما يبدو على هذه الكلمة من غرابة . أقبل هذا العيد والأرض ترتجف من هول ما تلقاه والدماء تجرى أنهارا والقتال يستعر لظاه ويتأجج لهيبه و يشتد أواره وتمتد ناره فيعم العالم بؤسه وفتكه ودماره .

ومع هذا تكاد الحياة فى مصر أن تكون عادية ولعل بلادا أقل الأقطار تأثرا بما انتاب العالم من محن وويلات وكوارث ومع هذا يقول بعضهم إننا لنشعر بما يشوب ما كنا فيه من سعادة ، و يتناسى ما يحيط بنا من ظروف قاسية ، وعلى كل حال أين هى السعادة الكاملة فى الدنيا ، إن هى إلا سعادة نسبية فبلادنا مع ما نحن فيه ومع الاضطراب الذى تموج به الأرض هى والحمد لله إلى الآن نسبيا فى أوج السعادة والرفاهية ، فنحن حتى الآن نسير فى حين أن غيرنا قد انقطع عن السير وسدت فى وجهه المسالك .

ما حل خطب ثم قيس بغيره ... إلا وصغره اتضاؤس وحقرا

يجب أن نسير محكمة وأن نسير فى يقظة وحذر حتى نتمكن من اجتياز زمن المحنة وألا نلهو عن الأخطار المحدقة بنا من كل جانب ، بل نقابلها بما يجب أن تقابل به من رباطة الجأش وضبط النفس واقتصاد فى المآكل والملبس وترك الكماليات وانا لنجد الأمم الأخرى محرومة من حاجاتها الضرورية وقد أنشأت أكثر البلاد نظام البطاقات ، فنجد أفراد الشعب وقد انتظموا صفوفا طويلة ينتظرون دورهم فى الحصول على أنصبتهم ، وبعض هذه

البلاد يشكو المجاعة ولا يجد القوت وتكاد الأمم فى أوروبا بأسرها تئن من الحرمان ، فأحرى بنا أن نخفف من غلوائنا وأن نقتصد فى إظهار السخط والتبرم . لقد ألفنا الرفاهية والدعة واعتدنا على البذخ والسعة فلنكبح جماح النفس بعض الشىء ، فالمسرف عدو لنفسه ودينه ووطنه . إن كثيرا من الأمم التى زجت بنفسها فى الميدان المضطرب تطلب من أبنائها أن يضحوا بأرواحهم . أما نحن فلم نطلب من الناس الا أن يضحوا ببعض شهوات نفوسهم رفقا بأنفسهم وبأسراتهم ووطنهم .

فاذا قنع المرء بما هو فيه وجد فى القناعة غنى وسعادة ، وقد حار الناس فى تعريف السعادة من قديم الزمان لأنها نسبية واعتبارية كما قدمت وتدل على هذه الحيرة تلك الأبيات الرقيقة لأحد كبار الشعراء :

قلت السعادة فى المنى فرددتنى ... وزعمت أن المرء أفقه المنى
ورأيت فى ظل الغنى تتصاخب ... فرأيت أنت البؤس فى ظل الغنى
كم ذا أقول بأنها قد خيبتنى ... فتجيب أنت بأنها لا تقتنى
وأقول إن خلقت فقد حققت لنا ... فتقول إن حلقت فلم تخلق لنا
وأقول إنى مؤمن بوجودها ... فتقول ما أحراك ألا تؤمنا
وأقول سر سوف يعلن فى غد ... فتقول لا سر هناك ولا هنا
ياصاحبى هذا حوار باطل ... لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

وعلى أية حال يجب علينا أن نستقبل عيد الفطر بوجه باسم تتغلب به على المتاعب ونجتاز به العقبات ونلق الطمأنينة والهدوء فى قلوب من حولنا وفى الجو الذى نعيش فيه .

وليفكر الأغنياء فى إسعاف الفقراء ويعملوا على معونتهم والبر بهم والعطف عليهم ، فقد جاء فى القول المأثور :

إن الفقراء عيال الله وأقرب الناس الى الله أبرهم بعياله .

وقد فرض الله الزكاة على المسلمين تطهيرا لهم ، وعونا لفقرائهم ، قال عليه الصلاة والسلام : " صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث " ورفقا بالفقراء فى يوم الفطر لإعفائهم من ذل السؤال فى هذا اليوم .

فعلى القادرين من المسلمين أن يذكروا بمناسبة العيد أن هناك من إخوانهم من يتضورون جوعا، وليذكروا نعمة الله عليهم فينهضوا لمساعدة الضعيف والمحروم واليتيم البائس، وبذلك يضمنون رضاء الله ورضاء الناس أجمعين .

بذلك ينتزع الأثرياء ما فى نفوس البائسين من غل ويسود عندهم الاعتقاد بأن هناك قلوبا مفعمة بالرحمة والحنان تعطف عليهم وتتعهدهم بالبر والإحسان .

وعلى الفقراء من جانبهم أن يعلموا بأن المحنة عامة وأن الأرض كادت تميد بمن فيها مما حاق بها، وأن الواجب يقضى بأن يساهم كل إنسان فيما أصابها فينزل عن بعض ما اعتاده فى زمن السلم ويواجه تلك المتاعب — متاعب الحياة وأعباءها الجسام بالصبر والسكينة والجلد.

لقد كان عليه الصلاة والسلام ينام على الطوى ويأكل خبز الشعير ويأتدم بالخل ويتبلغ بالتمر، وكان يخصف نعليه ويرقع ثوبه وينام على حصير تترك أثرها فى جسده الطاهر .

وكان الخلفاء الراشدون يعيشون فى خشونة وتقشف وعفف . وجاء فى تاريخ سيدنا عمر أنه أبطأ يوما فى الخروج من بيته وتساءل الناس عنه فعرفوا أنه كان ينتظر جفاف ثوبه بعد غسله لأنه لا يملك إلا ثوبا واحدا وهو أمير المؤمنين وقاهر كسرى والفاتح العظيم .

سبحانك اللهم ! أيرضى الأنبياء والخلفاء هذا العيش ثم نتبرم بالحياة ويحز فى نفوسنا المضض والضيق من أجل تغيير طفيف ونقيس بما تقاسيه الأمم التى تصلى نار الحرب لوجدنا الحق يقضى بأن نحمد الله على نعمته وأن نشكره على ما أولانا من آلائه وجميل رعايته . وأعتقد أن كل مصرى يجب عليه أن يخاطب هذا العيد بقوله :

لا أستزيد الله نعمى فيك لا بل استديم

أما بعد — أيها السادة — فإننى كنت قد وعدتكم بالتحدث إليكم عن شؤون الوزارة ويسرنى أن أعلن بأن المراكز الاجتماعية الخمسة التى سمحت بها ميزانية الدولة قد تم إنشاؤها جميعها وأخذت تعمل بجد واجتهاد ونشاط .

تعمل لخدمة القرى وأبناء الريف — أولئك الذين كانوا وما زالوا يشكون الإهمال . تحاول الحكومة أن تخفف عنهم بعض ما يعانونه فهى تعنى الآن بصحتهم وزراعتهم ونظافة قريتهم وبأحوالهم الاجتماعية والأدبية والدينية .

هذه المراكز الاجتماعية تتبارى الآن فى خدمة الفلاح ، بل يتبارى رجالها فى معونته . فالطبيب يعمل بلا مقابل أى أنه لا يتناول أجرا من المرضى ولا يسمح له بعيادة خاصة فوقته كله مخصص لأهل القرية والقرى المجاورة وهو طبيب الفلاح الخاص ، يقيم معه ويبادر بإسعافه وعلاجه هو وأفراد أسرته ، وينتقل إلى بيته إذا صعب عليه الانتقال ، والأدوية تصرف مجانا بغير ثمن ويبلغ عتادها و العدم الواحد للمركز الواحد ألف جنيه مصرى .

والأخصائى الزراعى الاجتماعى يتعرف إلى القرية ويدرس حالة أهلها وأرضها وحاصلاتها دراسة علمية على أساس صحيح ليتسنى العلاج الصحيح ، ثم يقوم بإرشاد الأهالى لأحسن الطرق فى الزراعه وأنسبها و إلى التجديد وطريقة مقاومة الآفات و يساعد موظفى التعاون ، بل يعمل على إنشاء جمعيات التعاون ويرشدهم لكيفية تصريف المحاصيل حتى لا تباع بثمن بخس ، ولا يستغل المصارين سذاجة الفلاحين ، وهو يتعاون مع رجال التعليم الالزامى لتنشئة الأطفال و إنشاء الفصول الليلية لمقاومة الأمية

أما الزائرة الصحية فهى تتعهد حوامل مدة الحمل وعند الوضع وتعلم الدايات وتشرف عليهن وتراقبهن ، وتزور الوالدات وتعنى بأطفالهن وتهتم بنظافة البيوت و إرشاد ربانها إلى واجباتهن كزوجات وأمهات لأجيال المستقبل

والأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

والموظفون يعملون بالاندماج فى أهل القرية ليأنسوا إليهم ويظفروا لديهم بالثقة والمودة .

وأحب أن أكرر هنا أن تجربة الوزارة قد نجحت كل النجاح فى " المنايل " و "شطانوف" وأذكر بعض ما صنع هناك لتكونوا على فكرة صحيحة فانها اهتمت هناك بتربية النحل وتهذيب استخراج العسل ، و بتربية دودة القز للحصول على خيوط الجراحة ، ونال المجتهدون ربحا حسنا لندرة وجودها أثناء الحرب . وأنشأت الوزارة حمامات شعبية يصرف فيها الماء الساخن والصابون بغير مقابل وأنشأت أيضا معامل نظيفة صحية للألبان وكونت لجانا للاحسان ونظمته ووجهته للحرومين والمحتاجين ، واهتمت بنظافة القرية ودورها وميادينها وطرقها ، وأنشأت بحثا للصلح وفض المنازعات بين الأسرات ، ومكتبة قروية صغيرة ومدرسة نموذجية عملية وجمعيات تعاونيه وأعالا منزلية وأجرت فحصا طبيا شاملا للقرية ثم لكل فرد من أهلها مما لم يسبق له مثيل . ودقت طلمبات يدوية فتمتعت القرى بمياه شرب نقية وأدخلت طريقة المراجيح البسيطة فى دور الفلاحين ونشرت زراعة الأشجار الخشبية

ونظمت المحاضرات الاجتماعية والدينية وأصلحت طرق القرية بجهود أهلها وردمت بركة مساحتها ٤٢٠٠ متر بتكاليف ضئيلة لم تزد على أربعين جنيها .

وقد أقبل الأهالى على الاستفادة من مراكز الاجتماعية الخمسة فبلغ المنتفعون بخدمة العيادات الطبية ٢٢٥٠ شخصا فى متوسط الشهر الواحد . أما الذين استفادوا من دار رعاية الطفل فى كل مركز فقد بلغ متوسط عددهم ١٨٠٠ شخص فى الشهر . وقد جمعت سائر موظفى هذه المراكز فى مكتبى منذ أسبوعين وزودتهم بالنصائح وسرنى أننى وجدتهم على علم تام بمهمتهم حادين فى تأدية رسالتهم . وقد أطلعنى بعضهم على عينات جيدة من الصناعات الصغيرة التى وفقوا لإنشائها بالقرى .

وما زال الأعيان يتبرعون بسخاء وكرم لاتمام بناء المراكز ، والأمل معقود بأن يضاعفوا الهمة لينتهى من إنشائها هذا العام .

هؤلاء الأعيان يشعرون بواجباتهم نحو الأمة ويتقربون الى الله بما يبذلونه فى سبيل الخير . ومن أكرم عند الله ممن يعمل على إسعاف الضعفاء ومواساة المساكين ونجدة المرضى والمنكوبين العاجزين .

هؤلاء الأعيان يتخذون جلالة الملك المحبوب قدوة ونعم القدوة فقد ضرب لنا جلالته مثلا عاليا فى وجوب الاهتمام بالفقراء والعناية بهم فقرت عيونهم بعطفه وحدبه وحسناته وارتفعت أصواتهم يدعون الى الله أن يحفظه ويمد فى حياته . فإن هؤلاء الأعيان أقدم خالص الشكر والثناء وأسأله تعالى أن يجزيهم عما قدموه خير الجزاء .

وإنى لحريص كل الحرص على تنويه بفضل الجمعية الزراعية فانها أرادت أن تضرب مثلا عاليا لسائر الهيئات فى خدمة الفلاح فتقدمتهم جميعا فقررت أن تقيم فى بهتيم مركزا اجتماعيا تقوم بتشييده على نفقتها ثم أضافت الى هذا أنها تبرعت بخمسمائة جنيه مصرى قيمة تكاليف هذا المركز الاجتماعى فى كل عام ، فمن واجبنا أن نتقدم بالشكر للأمير اجيل عمر طوسون رئيسها لما أسدته الجمعية التى تقدم للبلاد من زمن بعيد خدمات خلدت اسمها ورفعت ذكرها .

وكذلك فعل البنك العقارى المصرى فانه قرر أن ينشئ على حسابه مركزا اجتماعيا يكون نموذجا حسنا لسائر المراكز . وكتب المسيو فانسينيو مقالة بديعة سننشرها فى مجلة الشؤون الاجتماعية فى العدد المقبل .

قد حدثتكم أيها السادة فى المرة السابقة عن استنكارى للحفلات الخليعة ، ويسرنى كل السرور ما تلقيته على أثر كلمتى من موافقة عامة وقد وجدت لها صدى يشجع الذين ينادون بالإصلاح . ولا جفت بارتياح وغبطة أن هذا النوع من الحفلات قد خفت وطأته وزالت حدته والأوبئة كلها تزول بالعلاج والمقاومة و إلا تفاقم الداء وعز الدواء .

وقد سألنى بعضهم لماذا إذن لا تغلقون الصالات والبارات والكباريهات . وجوابى على ذلك أننى لا أنادى بالأرتيستات ، ولكننى أخاطب أرباب البيوت والأسرات . ولا أتحدث عن المحترفات ولكننى أهتم بالسيدات المسلمات والشرقيات . فان زينة السيدة دينها وخفرها وحياؤها وواجبها الأول هو المحافظة على سمعتها وعلى قوميتها وتقاليد أسرتها .

أيها السادة — لقد بررت بوعدى فعدت للكلام عن شؤون وزارتى لأشرككم فى الرأى والتفكير والتوجيه ، وأرجو أن أسير على هذه الطريقة طريقتى . لاعتقادى أنها خير منهج وأقوم سبيل .

أيها السادة — لقد أقبل العيد هذا العام والجو لا يزال ملبدا بالغيوم والسماء مازالت مكفهرة الأديم فواجبنا كمسلمين هو أن نصبر ونصابر ونرابط كما جاء فى القرآن الكريم .

نسأل الله أن يعيده عليكم وقد ساد السلام ربوع العالم وخرجت مصر ظافرة بما يرجوه لها أبناؤها المخلصون من عزة وسؤدد ومجد فى ظل مليكنا المحبوب حفظه الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابراهيم دسوقى أباظه